دراسات فى الفن :

التمثيل تلخيص الحياة

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

ينحو التمثيل فى مصر نحوين :

أما النحو الأول فهو صناعة التمثيل، وزعيم مدرستها فى مصر الأستاذ جورج أبيض . والواحد من أبناء هذه المدرسة يتلقف الدور الذى يعهد إليه بتمثيله ، فيتكئ على جمله وعباراته يدرسها جملة جملة وعبارة عبارة ، ويرى أى شىء يقصد إليه المؤلف من كتابة هذه الجملة أو هذه العبارة . فإذا كان المراد بها استفهاماً عرف الممثل الصناع هذا الغرض ، وأدرك أن هذه الجملة أو هذه العبارة يجب أن تلقى كما يلقى الإنسان سؤالا يُشعر بإلقائه سامعه بأنه ينتظر منه الجواب . فإذا كان المراد بالجملة أو العبارة إظهار الشكوى والتوجع أنّ وهو يلقيها وأرسل صوته منهدجاً متقطعاً . وإذا كان المراد بالجملة أو بالعبارة إعلان الثورة والغضب استلزم تمثيلها عند هذا الممثل أن يصرخ فيها وأن يزعق ، وأن يشير بيديه — إذا أحب — إشارات تتفق فى معناها ومعنى الغضب والثورة الذى يمثله بعبارته أو جمله

وهذا أسلوب فى التمثيل كان الفرنسيون يصطنعونه حتى السنوات الأولى من هذا القرن وهى السنوات التى أدرك فيها الأستاذ جورج أبيض أستاذه « سيلفان » الذى تعلم التمثيل على يديه فى البعثة التى أوفدته فيها الخديو عباس ، وهذا الأسلوب فيه عيب هو أخطر العيوب التى ينكب بها فن من الفنون وهو التكلف ، ذلك أنك لا تستطيع أن تشاهد ممثلاً يمثل بهذه الطريقة وتستطيع أن تنسى أنك تشاهد تمثيلاً ، فأنت تلحظ — مهما تناوم حسك — أن كل كلمة مما يلقى أمامك قد درست حروفها حرفاً حرفاً ، فلا حرف من حروفها يخرج من بين شفتى ملقيها إلا بعناية مبذولة ، ولا جملة ترسل من فيه إلا بتنغيم وتلحين يصرخ فى أذنيك بأنه لم يرد عبثاً وبأنه يراد به أن يحوز إعجابك ، إعجابك أنت أيها المتفرج! وهذا شىء تزورُّ عنه الطبيعة ولا ترضاه. فليس فى الدنيا ناس يكلم بعضهم بعضاً مثلما يكلم أفراد هذا الفريق من الممثلين بعضهم بعضاً وهم واقفون على خشبة المسرح . فهو تمثيل أجبر به أن يقضى الإنسان أمامه الساعات يشاهده ويتفرج عليه ، ولكنه لا يسامح فيه بعواطفه وشعوره ، ولا يشارك فيه ممثليه بوجدانه وإحساسه .. وكيف يصدقهم وهم يذكرونه فى كل كلمة من كلماتهم بأنهم ممثلون ، وبأن هذا الكلام الذى يسمعه رواية تمثيلها كاتب من الكتاب ، وأن هذا المقعد الذى يجلس عليه فوتيل ممتاز أجره فى السواريه عشرون قرشاً يضاف إليها قرشان ضريبة على لهوه وعبثه !

وهذا هو ما حدا بى أن أسمى هذا النوع من التمثيل صناعة التمثيل ، وهو ضرب من التمثيل يستطيعه الموهوب كما يستطيعه غير الموهوب لأنه لا يحتاج فى إتقانه إلا إلى تدريب صوتى ثم يتمامه الصنعة ، ويقعد بعد تمامها الفن الصادق محزوناً محسوراً

أما النحو الآخر الذى تحصيه للتمثيل فهو هذا الضرب الذى لا يبدأ بالصنعة ، والذى لا يبدأ بالصوت ، والذى لا يهتم كثيراً بمخارج الحروف ، والذى لا هم له فى هذه الناحية الصناعية إلا أن يكون الصوت واضحاً مسموعاً مفهوماً ؛ ولكنه يتطلب قبل هذا من الممثل أن يكون قد وهب نفسه وروحه وبصره وسمعه وإحساسه وكل قوة من قواه للتمثيل ، لا مختاراً ، فلا سبيل للاختيار فى المواهب ، بل مفطوراً مطبوعاً . فإذا لم يكن الله

قد خلق الممثل تمثلاً فإنه لن يستطيع أن يبلغ من المجد الفني إلا مثلما بلغه الأستاذ الكبير جورج أبيض : دراسة وإتقان

فالممثل الصحيح هو هذا الذي يشب وهو يراقب الناس فرداً فرداً ويدرس أشخاصهم كاملة لا ممزقة ؛ فهو لا يعنى بأصواتهم واهتزازاتها المختلفة في أصواتهم النفسية المختلفة من تساؤل وغضب وفرح وحزن ، وإنما هو يتوغل في نفوسهم إلى ما هو أعمق من هذا ؛ فهو ينفذ بروحه إلى حيث مكامن العواطف والانفعالات في نفوسهم ، فيتعرف الأسلوب الذي تجري عليه نفوسهم في تفهم الأشياء وفي الإحساس بالمؤثرات المتباينة . ويجب أن يكون هو نفسه إلى جانب هذه الدراسة التي لا تتاح لكل إنسان صافي الروح سهل الوجه سريع اللامح والقسمات بحيث ينضح وجهه وصوته عفواً بما ينتاب نفسه من المؤثرات . فإذا اكتمل له هذان العاملان أمكن في غير تحرج أن نقول إنه ممثل كامل . ويقف نجيب الريحاني في الصف الأول من هذا النوع من الممثلين المصريين الذين نذكر منهم مختار عثمان وبشارة واكيم

والواحد من هؤلاء الممثلين الموهوبين يتلقف دوره فيبدأ أولاً في تقليب ذاكرته والبحث فيها عمن صادفوا به في حياته من الناس الذين يشبهون صاحب هذا الدور الذي عهد إليه بتمثيله . فإذا عثر في ذاكرته على هذا الشبيه المطلوب فقد عثر على كنز . لأنه لن يحتاج في إخراج الدور الجديد إلا أن يتقمص روح هذا الشبيه ، وأن يلاشي نفسه أثناء تمثيل الدور ، وأن يُحل محلها نفس ذلك الذي بحث عنه في ذاكرته واهتدى إليه . فإذا تم له هذا التقمص ، فإنه سيكون على المسرح — أو أمام الكاميرا — صورة هي أقرب الصور إلى هذه الصورة الأصلية الطبيعية . فإذا كان المؤلف قد أسعده بالتطابق التام بين الصورة المرسومة في الرواية والدور ، وبين الصورة الأصلية الطبيعية ، فإن الممثل الموهوب لن يبذل من الجهد أكثر من هذا التقمص الذي ذكرناه ، وهو بعد ذلك يستولي عليه منذ أن يصطنع إحساس يشابه تمام المشابهة الإحساس الذي ترتكز عليه الصورة الطبيعية الأصلية في كيانها . فهو يتكلم كما تتكلم وبشير كما تشير ، ويمشي كما تمشي ، ويجلس كما تجلس ، ويغضب كما تغضب ، ويسأل كما تسأل ، ويحب كما تحب ، ويعلن حبه كما تعلن حبها ، ويكره كما تكره ، ويعلن كراهيته كما تعلن كراهيتها ... فهو أولاً وأخيراً قد فني في هذه الصورة التي يمثلها : وهو لا يفيق منها إلا إذا غادر المسرح . بل إن من الممثلين الموهوبين من يتلاشون في أدوارهم تلاشياً فلا يستطيعون أن يستعيدوا طبيعتهم إلا بعد أن يفرغوا من تمثيل الدور الذي يستغرقون في تمثيله هذا الاستغراق. ولعل الهواة يلحظون أن علي الكسار قد استحال بربرياً من كثرة تمثيله دور البربري . ولعل منهم من سمع « عزيز عيد » وهو يقول إنه عاش مدة طويلة من الزمن خليفة للمسلمين أيام كان يمثل دور السلطان عبد الحميد

وهذه الصور الطبيعية ، أو هذه النماذج الإنسانية الأصلية الصحيحة هي مراجع الممثل الفنان ، وبها تحصى ثروته الفنية . فما دام قد شاهد منها صوراً كثيرة ، وما دام قد تمكن من دراسة هذه الصور ، وما دام قد درب نفسه على التبطل التام ليحل محلها صوراً من نفوسها بالتقمص والانصهار والتحول ، فهو إذن ممثل غني قادر متمكن

وهذه الصور تستلزم وقتاً طويلاً من الحياة يبذله الممثل في معاشرة الناس وفي دراستهم ، ولا يمكن لهذه الدراسة أن تتم إلا بهذه المعاشرة التي لا منطق فيها ولا إعداد لها . لذلك كان مما يشبه العبث أن يتعلم الشبان التمثيل في المعاهد التي لا تستطيع أن تعرض عليهم النماذج المتعددة من الصور النفسية الإنسانية ، والتي تفقد عند تمرين الطلاب على الإلقاء وإحسان إخراج الحروف . أما التمثيل الصحيح فمعهده الدنيا كما أنها معهد لكل فن صحيح

وقد يسائلنا هنا سائل : ما الذي يستطيع الممثل أن يصنعه إذا عهد إليه بتمثيل دور تاريخي قد مات صاحبه وانطفأت شعلة روحه ، فلا يستطيع الممثل أن يراقبه ولا أن يدرسه عن كثب ليتمكن بعد ذلك من أن يصهر نفسه ليصوغها بعد ذلك في القالب النفسي الذي كانت عليه نفس هذا الشخص التاريخي الذي يراد تمثيله ؟

ونحن نقول رداً على هذا السؤال : إن القراءة والدرس في مثل هذه الحالة يجبان وجوباً ، وأنهما يعوضان جانباً كبيراً من الخسارة الفنية التي يخسرها الممثل بحرمانه الاتصال المباشر بالصورة الإنسانية التي يريد أن يمثلها . فبالقراءة والدراسة يستطيع

المثل أن يقف على أسلوب هذا « الأصل » فى الحياة ، وبهما يستطيع أن تعرف أحلامه وعاداته ، وما كان يفضل من ألوان الطعام ... وألوان اللهو مهمة جداً فى نظر الممثل الفنان ، فهى الأعمال التى يمارسها الإنسان برغبته الخالصة والتى يستطيع الممثل أن يعرف بها ميول هذا الذى يريد أن يمثل دوره . ومتى استطاع أن يعرف هذه الميول وما يتبعها من المزاج الخاص استطاع بعد ذلك أن يرسم بالتمثيل صورة تطابق إلى أبعد الحدود الصورة الأصلية الطبيعية التى يريد أن يمثلها

وقد يحدث أن يمثل ممثلان اثنان ذاتاً واحدة — أو أصلاً واحداً — ولكنهما يختلفان فى التمثيل فلا تتطابق الصورتان اللتان يظهر أن كلا منهما هى الأخرى كما حدث ذلك قريباً إذ خرج كل من الممثلين العالميين هارى بور وجون باريمور دور «راسبوتين» فقد خرج الذين شاهدوا جون باريمور فى دوره بصورة عن راسبوتين تطابق هذه الصورة الشائعة التى صورته لنا بها المقالات التى كتبت عنه فى الصحف ، والروايات التى ألفت عنه وروجتها دور الطبع والنشر ، والروايات الأخرى التى مثلتها عنه المسارح .. وقد كانت هذه جميعاً تمقت راسبوتين وتراه شراً أخبث من الشر ، وتبخل عليه حتى بأخس صفة من الصفات الإنسانية تنسبها إليه ؛ فهو عندها الجاهل الذى يدعى العلم ويلزم الناس إلزاماً بأن يروه عالماً ؛ وهو القرد الذى ما يكاد يرى أنثى حتى يسيل لعابه وتهيج فيه أحط الغرائز فيرسلها ثائرة ويطلقها جائحة لا يكبحها ولا يلوى عنانها ؛ وهو السكير الذى لا تكف أمعاؤه عن الصراخ فى طلب الخمر والذى لا يستقر رأسه بين كتفيه على حال من أثر الشرب ، وهو الدجال فى مسوح القديس ؛ وهو آخر الأمر الخائن الذى يبيع وطنه وأهله وذويه بالثمن البخس، فهو إذن الرجل أو الكوم من اللحم الذى لا إنسانية له ولا كرامة ولا عفة ولا شرف ولا قومية ولا دين ! ...

هذا بينما اتجه هارى بور فى تصوير راسبوتين إلى اتجاه آخر، فقد أخذ على عاتقه ألا يسترسل فى نقد راسبوتين هذا الاسترسال الذى يهدم إنسانيته هدماً ، فاستبق هارى بور لصاحبه من شره مالم يستطع أن ينكره لإجماع المصادر التاريخية عليه فأظهره سكيراً محباً للنساء، ولكنه عدل بعد ذلك عن تلوينه بألوان الدجل والخيانة فأظهره صريحاً صادقاً يقول للناس إنه يعالج مرضاه المختبلات من الإناث بعلاج طبيعى هو عند الرجال جميعاً ولكن الناس لا يرضون أن يصدقوا هذا ويأبون إلا أن يسبغوا عليه مسوح القديس صاحب المعجزات فلا يملك إلا أن يسخر منهم وأن يتأنق فى المسوح ، كما أظهره أيضاً مخلصاً لقيصره ووطنه إذ يلح بالنصيحة على القيصر ألا يزج بالروسيا فى الحرب لعلمه بعجزها عن المضى فيها

وهكذا اختلفت صورتا « راسبوتين » اللتان عرضهما جون باريمور وهارى بور ، وهذا الاختلاف يرجع إلى اختلاف دراسة كل منهما لراسبوتين ، وإلى مطاوعة كل منهما لمؤلفه ...

وأخيراً ، فقد يعهد إلى الممثل بتمثيل دور عادى طبيعى لا شذوذ فيه ولا أصل له متميزا فى الطبيعة . عندئذ يستطيع الممثل أن يسترجع نفسه هو ، ولا بد له إذن أن يكون قد راقب روحه ورأى كيف تستقبل الحوادث والمفاجآت والمؤثرات وعليه فى مثل هذه الأدوار أن يمثل نفسه فى رداء الدور

فريد احمد فهمى

مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر تقدم

ثمرة جهاز من التأليف العلمى والتحقيق الأدبى

مباحث عربية

للأستاذ بشر فارس

الدكتور فى الآداب من السوربون

موضوعات مبتكرة . توجيه جديد . اصطلاحات مستحدثة فى ألوان الحضارة والتعبير العلمى . مراجع وافية فيها الكثير من النادر والمخطوط . تعليقات مستفيضة .

٣ مجلدات :ـ الأول: للمخطوطات . الثانى: للاصطلاحات العربية . الثالث: للاصطلاحات الأوربية

طبع متقن وورق ممتاز

الثمن ١٥ قرشا صاغا (٣/٣ شلنا) عدا أجرة البريد

الافصاح فى فقه اللغة

معجم يرى : خلاصة المخصص وسائر المعاجم العربية . يرتب الألفاظ العربية على حسب معانيها ويمسك باللفظ حين يحضرك المعنى . أقرته وزارة المعارف ، لا يستغنى عنه مترجم ولا أديب ، يقرب من ٨٠٠ صفحة من القطع الكبير . طبع دار الكتب ، ثمنه ٢٥ قرشا يطلب من مجلة الرسالة ومن المكتبات الكبيرة ومن مؤلفه:

صبحى يوسف درسى ، قبر الشاع الصعيدى